ذكرى مريم العذراء والحبل بها بلا دنس الخطيئة

للخوري ارسانيوس الفاخوري ✝ (١)

قال موشحا في سيدة الانام مريم العذراء، وذلك حينما وفدت البشائر باثبات براءتها من كل عيب ودنس منذ حبل بها بريئة من الخطيئة الاصلية وابراز الحكم بكل ذلك ابرزه قداسة الحبر الاعظم السعيد الذكر البابا بيوس التاسع سنة ١٨٥٤ :

لاحَ بدرُ الحقّ والبُطل انصرمْ وهلال الشك وَرّاه العَدمْ
واليقين اليومَ اضحى كالعلمْ جالساً في العرش بالعزّ رَفَلْ

حدّد الحبرُ مقالاً وانتهى مبحثٌ عن مريم ذاتِ البَهاء
مثبتاً للقولِ فيه إنّها حُفظت من دَنَسٍ منذُ الحَبَلْ

---

(١) الخوري ارسانيوس الفاخوري الشاعر قاضي نصارى جبل لبنان في عهد الامير بشير الكبير والامير حيدر اللمعي وعضو مجلس ادارة جبل لبنان عن المارونة نقلب في مناصب عديدة دينية ومدنية وله تآليف شتى في النحو والشعر والبيان وقد اشتهر في فن البديع فنظم اربع بديعيات ثلاث مطبوعة وواحدة لم تطبع وله غراميق سرياني شرّاً ونثراً وقد اولع بحب السيدة العذراء التي حبل بها بلا دنس ام الله البتول فله فيها القصائد المتطولة والقطع الموجزة ما يبلغ نحو ٨٠ قصيدة وقطعة ومنها هذه القصيدة التي نظمها في اثبات العقيدة التي لا ريب فيها وهي عقيدة الحبل بها بلا دنس وهذا الموشح اللذان نشرهما في هذه السنة المريمية الموافقة لمئة سنة خلت الواحدة لاثبات العقيدة المذكورة من قداسة البابا بيوس التاسع المثلث الرحمات في ٨ كانون الثاني سنة ١٨٥٤ والثانية اي الموشح في الموضوع عينه وفيها تواريخ اثبات العقيدة المذكورة وذلك احياء لهذه الذكرى ولذكره ايضاً .

ان قصائد المرحوم الخوري ارسانيوس في السيدة العذراء الذي لا يضاهيه شاعر ما بهذا الموضوع نقلها عن ديوان ورثته آل سليم الفاخوري وارسلوها مجلدة تجليداً مذهباً منقناً الى المكتبة المريمية في رومية بعنوان قداسة البابا بنديكتوس الخامس عشر المثلث الرحمات فتعطف واهدى اليهم صورته مع بركته الرسولية والغفران الكامل عند الموت ولا يزالون يحتفظون بالصورة المذكورة ذكرى مباركة .

خصَّها الله بكون أقدسِ ... وسمتْ طُهرًا ببرِ أنفسِ
وحباها فيضُ روح القدسِ ... لابنه أما دعاهـا من ازل

وافتِ البُشرى لإكرام البتولْ ... ببروز الحكم من حبرٍ جليل
أنشط الالباب بل سرَّ العقولْ ... وكساها بهجةً ما قد حصلْ

فرَّحتْ قلبَ الكئيبِ المستهامْ ... كم ازالت منه غمًّا وقتامْ
وشذاهـا كم وكم أبرا ذُكامْ ... وجلاها للمـلا يشفي العِلَلْ

من كؤوس وشراب الخندريس[1] ... مالتِ الأكوان بالتيهِ تميسْ
وغدتْ تختالُ في دُرٍّ نفيس ... وتجرُّ الذيل من اسنى الحلَلْ

زالتِ الاتراحُ والغمُّ عفـا ... وافتِ الافراحُ والوقت صَفا
راقت الكاساتُ والأُنس شفا ... طابتِ الاوقاتُ والبؤس رَحَلْ

زُهرةٌ غرَّا تلالت في العَـلا ... كوكبُ العَيوقُ بالنور اعتلى
قمرُ السرَّاء بالسعدِ عـلا ... زُحلُ الضرَّاء بالنحس أفـلْ

مُذ بدا عَيوقُنا في السُنبُلـة ... صاحَ ذاك المشتري بالهيلَلـة
رَنَّمَ المريخ قول السبحلَة ... مذ رأى السعدَ اعتلى برجَ الحملْ

يا لبكرٍ طُهرُها نجَّى الملا ... وسناها لغيومٍ قد جـلا
أترى يا صاح فيهـا قد حَلا ... عقـدُ نظم زانه دُرُّ الغزَلْ

مَلَّك الوُرَّادَ رَيًّا وردِهـا ... طيَّبَ الاشمامَ منا وَرْدُهـا
حيَّر العُشَّاق طُرًّا بُرْدُهـا ... من حُلاها ازدان اصحابُ العَطَلْ

---

(١) الخندريس الخمرة .

عاشقوها في هواها كملوا ندماها من طلاها ثملوا
وبتاج من عفاف كللوا وغا الايمان فيهم والأملْ

فاقت الابدارَ ظرفاً وكمالْ علت الاقمارَ نوراً وجمالْ
وتعالت ببهاء وجلالْ والدراري كلها جندٌ خَوَلْ

يا عروسَ النشدِ قومي كلّلي عرس لبنان بمجدٍ سرمدي
في علاها رنّمي او هلّلي بنشيدٍ لا يحاكيه مثلْ

فهي عرش ملكٍ كرسيُّ القديم وهي ذاك الباب والطور العظيم
وهي تابوتٌ لعهدٍ والكليمْ قد رأى شبهاً لها فوقَ الجبلْ

قسطلٌ منّ طور سينا والغمامْ وعصا هارونَ ذياك الإمامْ
فُلكُ نوح برج داودَ الهمامْ دُرّةٌ قد عمّ اجزاها البلَلْ

قد غدتْ سلطانةً زادت على كلّ مخلوقٍ بارض وعلا
فحباها ربها هذا الولا وسمت مجداً على كلّ الملَلْ

فضلها قد عمّ ابناء البشرْ وبها حازوا خلاصاً منتظرْ
وبها نيل المُنى ثم الوطرْ ورضى مولى السلاطين الاجلْ

بسناها الخلقُ طُرّاً أعجبا وسناها كلّ ذلّ قضّبا
وبهاها الورى العزّ حبا والسنى الوضاحُ بالمجد اتصلْ

يا بتولاً قد أتتنا بالسلامْ يوأتنا بالوفا أعلى مقامْ
بهواها قد شفينا من سقامْ وبرئنا من كلوم وشلَلْ

فارمقي عبداً ذليلاً ورقيق قد دعا ضمن بكاء وشهيقْ
إنه في لُجّة الحزن غريق فانقذيه وأخصصيه بالجذلْ

أنتِ أمّ الرحمة العُظمى التي شأنها انقاذُ مَن في ذلّةِ
طهّري قلبي ونقي مُقلتي وارحميني وقت إقبال الأجلْ

وقال ، رحمه الله ، مؤرخاً سنة الاثبات كون الحبل بسيدتنا مريم العذراء بريئاً من دنس الخطيئة الاصلية . والتاريخ في البيتين الاخيرين من الابيات الآتية ويحويان ستة عشر تاريخاً وفي البيت الخامس تاريخ ناطق بني السيد المسيح ظاهر بدلالته عليها :

فبشارةُ الاثباتِ للحبل النقيّ م بمريَم العذراء سيّدةِ الملا [1]
في أنّ ذا الحبلَ الشريفَ مطهّرٌ من كلّ عيب ثم عن دنس علا [2]
وبريّة من وصمةٍ [3] وخطيئةٍ اصليّةٍ فالسرُّ في هذا انجلى [4]
سُرّتْ قلوبُ المؤمنين بأسرهم وسرورُها الاكوانُ طُرّاً قد مُلا
سنة الثمانِ لمائةٍ مع اربعٍ إلحق بها خمسين مع الفٍ تلا
بختامها بزغ السنى ولهُ اتيتُ م مؤرّخاً مُستتبعاً هذا الولا [5]
والنظمُ ذا التاريخ في البيتين من هذا النشيدِ هما الاخيران اجتلى [6]
في كلّ شطر منهما هو كامل وكذا بجمل كل بيتٍ يُجتلى
وكذا بمعجمه تراه كاملاً تكراره لذوي القرائح اذهلا
وكذاك مهمل كلّ شطر منهما مع مهمل من اي شطر قد جلا

١) الملا : الخلق .
٢) علا : ترفّع .
٣) الوصمة : النقص والعار والعيب .
٤) انجلى : انكشف .
٥) الولا : اصله اولاء خفف الحكم .
٦) اجتلى : بمعنى عرض يجتلى يعرّض ولم يذكر المعجم غير هذا المعنى . ومعنى نظر الى الشيء وغيرهما مما لا يوافق المقصود .

ان كان من اعلاه مع ادناه او بخلافه تاريخه فيه جـلا
وكمثل ذاك مُعجم بل كيفما قلّبته عدد التواريخ انجلى

وبذاك يبدو سرّهُ المخفي به وبه بيان سنى المعاني اكتملا
خذها عرائس[1] تنجلي مجموعها ست وعشر ضمن نظم اكملا

نورُ السرور بأرضنا اكياً[2] جبى بسرور حجر لاصب يقضي العَلا
كيس[3] الحصور بمرجم برجُ القضا بسرير حكر قضا بها جبر دلا

١) العرائس : جمع عروس .
٢) اكيا: مصدر أكيَ يكي اي استوثق استيثاقاً . جبى اجرى وجمع والضمير عائد الى نورالسرور . واكيا مفعول به مقدم الحجر الثقل لاصب متسكن يقضي يتم العلا الرفعة والشأن . والمعنى ان نور السرور بارضنا جمع الاستيثاق سرورالعقل ملتصق به لاقام الرفعة والشرف .
٣) الكيس: الظرافة، الحُصور الذي يتجنب النساء اختياراً ولا يتزوج ، الحكر اشد العجب ، الجبر الاحسان ..